شرارة آذار
دعوة للتفكير بصوت مرتفع
مجلة فكرية ـ فصلية
جدل
دعوة للتفكير بصوت مرتفع
تصدر عن مركز رؤيا الإعلامي
العدد ١٠٠ ١٢/١-١٨/١/٢٠١٤
للمراسلة: infoshrara@gmail.co

في تمايزات المعسكر الذي يحارب داعش

سلام السعدي

في أشد مراحل الثورة السورية صعوبة، حيث المعارضة المسلحة تعاني من الانقسامات وتضارب مصالح الداعمين، وتخوض حربا طاحنة مع نظام أعاد تجميع قواه، مستعينا بالمليشيات الطائفية الخارجية. وحيث تنامى نفوذ تنظيم القاعدة، ودمّر سلوكه وخطابه الصورة الوطنية للثورة. في هذه المرحلة المعقدة بدأت المعارضة المسلحة حربا شبه مفتوحة على تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش".

ونقول شبه مفتوحة، بسبب تباين الحماس والاندفاع تجاه الحرب، في صفوف الكتائب المقاتلة، وذلك تبعا لداعميها وهويتها وخطابها، بعد أن بات القسم الأكبر منها ينتمي إلى الدائرة الأوسع من الأيديولوجيا السلفية.

وتخوض المعركة ضد "داعش" مجموعة من الكتائب العسكرية ضعيفة التنوع على مستوى الخطاب، إذ تشترك جميعا في الخطاب الديني الذي ينحى نحو الأصولية. ينطبق ذلك بصورة واضحة جدا على جبهة النصرة، الفرع الثاني لتنظيم القاعدة في سوريا، والتي تشترك مع "داعش" في كل تفاصيل الخطاب ولا تختلف عنها إلا بتكتيكات الممارسة.

كما ينطبق ذلك على كل تشكيلات الجبهة الإسلامية، ربما باستثناء لواء التوحيد الذي يتبنى خطابا إسلاميا تقليديا معتدلا. لكن الجبهة الإسلامية مكونة أيضا من حركة أحرار الشام وصقور الشام وأنصار الشام وجيش الإسلام وهي الأعمدة الكبرى في الجبهة. يقل في هذه التشكيلات حضور علم الثورة السورية، وتحضر الرايات السوداء والبيضاء، ويشترك منتموها في تعريف أنفسهم دون مواربة بأنهم جماعات "جهادية مقاتلة"، كما يجاهرون باتباعهم المنهج السلفي من الشريعة، ويفيض خطابهم اليومي وبياناتهم بايدولوجيا أصولية تصور الصراع على أنه بين السنة والشيعة. ذلك يختلف بشدة عن الخطاب الديني الإسلامي الواسع والعام الذي انتشر في بداية العمل المسلح ولا تزال معظم كتائب الجيش الحر تتبناه إلى اليوم.

غير أن الفروقات تبقى موجودة، ومن الخطأ تجاهلها تماما، بين فرعي تنظيم القاعدة (داعش والنصرة) من جهة، والجبهة الإسلامية وكتائب الجيش الحر من جهة أخرى.

يتبع في الصفحة.. ٢

«داعش» التي تجاوزت «القاعدة» في قبحها..

جمال خاشقجي

ما بين «النصرة» و «داعش»، والأنبار وحلب و«القاعدة» والعشائر، اختلط الحابل بالنابل، في مشهد سوريالي لا تكاد تبين فيه الحقائق، ومن هو الثائر ومن هو المتطرف والإرهابي. أنصار «القاعدة» يقولون إن «داعش» خرجت عن الجادة، فتسألهم: وهل «القاعدة» على الجادة؟ المتشككون يقولون «داعش صنيعة النظام»، والمقصود بـ «النظام» هنا السوري والعراقي والإيراني! كيف ذلك وهم يكفّرون الشيعة ابتداءً، على غير أهل السنّة الذي يعطونهم فرصة لقبول منهجهم، فإن امتنعوا كانوا مرتدين؟

وزير العدل العراقي حسين الشمري اتهم «رؤوساً كبيرة في الدولة» بتهريب المعتقلين من «داعش» في تموز (يوليو) الماضي من سجنَي أبوغريب والتاجي لتقوية تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» الذي يحارب بشراسة في سورية، وذلك خدمة لنظام بشار الأسد الذي يحتاج وجودَ «القاعدة» لتحويل الثورة الشعبية إلى إرهاب، فيتحول هو بالتالي من ديكتاتور يحارب شعبه المُطالب بالحرية إلى بطل يحارب الإرهاب، غير أن السيد الشمري سحب تصريحاته الخطيرة هذه الثلثاء الماضي وقال إنها كانت مجرد تحليل وليست معلومات.

قادة في «الجيش الحر» يؤكدون ما ذهب إليه الشمري، بل استعرض أحدهم صوراً لضباط في الاستخبارات السورية يقفون بفخر مع رجالات «داعش» وقد أطلقوا لحاهم وارتدوا الأسود من الثياب التي أضحت شعار مقاتليها، ولكن لـ «داعش» بلاءها الحسن في الحرب على النظام، فلقد اقتحمت مطار منغ ومراكز عدة للنظام، ولكنها أيضاً اعتقلت من يفترض أنهم إخوتها في الجهاد، وأعدمت كثيراً منهم، ومنهم أمير جبهة النصرة في الرقة، جناح «القاعدة» الآخر في سورية، وهو ما أكده قائد الجبهة أبومحمد الجولاني في رسالة مسجلة وزعها قبل أيام في معرض شرحه لأسباب اضطراره للمشاركة مع بقية المجاهدين في الحرب على «داعش».

مراسل «العربية» في البحرين الزميل محمد العرب المتابع الجيد لنشاط «القاعدة» في العراق، أرسل إلى أصدقائه رسالة عنونها «خرافة داعش رأي خاص» يقول فيها: «بعد ٣٠ سنة من الآن سوف تخوف الأمهات أبناءهن اسكت اسكت، لا تجيك داعش» أو «إذا ما تأكل أصحيلك داعش»، وإذا سأل الطفل أمه «يمه.. شنو داعش؟ شلون شكلها؟» فتجيبه الأم «ابني ما أحد شافها بس يقولون هاي سعلوة تلبس أسود بأسود وتغطي وجهها بلثام أسود، وترفع رايات سودة، وتركب حصان أسود وتأكل كل مين ما يسمع كلام أمه».

يتبع في الصفحة.. ٢..

سلام السعدي

تتمة: في تمايزات المعسكر الذي يحارب داعش

تتميز جبهة النصرة وداعش بتبني الجهاد العالمي، واعتناق الخطاب الطائفي الصريح، واستسهال التكفير والحرب على النشطاء، وإخضاع المدنيين في المناطق المحررة إلى نمط حياتي ودعوي أصولي. يرفض التنظيمان الدعم من أي نظام عربي أو غربي، والتعاون حتى مع أفراد غربيين، وهو ما جعلهما يقابلان الصحفيين الأجانب بالاعتقال والقتل. كما يقومان، بصورة منتظمة، بتفجيرات انتحارية كبيرة في مناطق المدنيين. الأهم من كل ذلك هو الاعتماد على الجهاديين العرب، وهؤلاء شديدو الجهل بالجغرافيا والمجتمع السوريين، ويتعاملون مع السكان كمحتلين، ما سبب ردود فعل كبيرة تجاههم. هذا فضلاً عن أن أعدادا كبيرة منهم، خصوصا في الفترة الأخيرة مع التجنيد الواسع النطاق الذي اتبعه تنظيم القاعدة في سوريا، لا خبرة قتالية حقيقة لديهم. يؤكد ذلك، وبعكس ما يشاع عن قوة التنظيم الأسطورية، كيف اندحرت "داعش" بسرعة فائقة من معظم المناطق السورية، بالإضافة إلى الصور الحديثة التي تؤكد تجنيد الأطفال تحت سن ١٥ عاما في صفوف "داعش".

تختلف المجموعات السلفية الأخرى، كالجبهة الإسلامية، في أنها ابتعدت عن خطاب الجهاد العالمي المرتبط بالقاعدة، وفي أنها تدرجت في تطرفها وأصولية خطابها، وهي لا تزال حتى اليوم تستقبل الإعلاميين الأجانب ومنفتحة على "الحراك السياسي الذي يدافع عن قضايا الشعب السوري العادلة" كما تورد في ميثاقها. لكنها تأثرت بصورة كبيرة بوجود تنظيم القاعدة، إذ رفع ذلك من منسوب الأصولية لديها في إطار الصراع على النفوذ داخل المكون العسكري للثورة. مع ذلك، فهي براغماتية إلى حد كبير، وقابلة بشدة لتغيير خطابها أو لتنحية الهدف المستجد لديها وهو قتال النظام لإقامة دولة إسلامية.

ويبقى المعيار الأهم في تمييز المجموعات عن بعضها البعض، هو البحث عن مدى تجذّر الفكر السلفي ومدى أصالته في تكوينها. هل أن الفكر السلفي هو ما أدى إلى نشوئها لتقاتل النظام كما هو الحال مع القاعدة؟ أم أنها انطلقت من رحم ثورة شعبية، وقد ارتدت ثوب السلفية نتيجة لطول أمد القتال وعنفه الشديد والبحث عن الداعمين؟.

وأخيرا فإن التمييز يبدو أسهل بالنسبة لكتائب الجيش الحر، خصوصا وأن معظمها لا يزال ينظر إلى الصراع على أنه مع نظام شمولي من أجل إقامة دولة ديمقراطية، وليس جهاد السنة ضد الشيعة والعلويين.

وبالعودة إلى الحرب على "داعش"، تبدو المجموعات السلفية التي لا تنتمي إلى القاعدة ولا تؤمن بالجهاد العالمي، المستفيد الأكبر. إذ تعززت مصداقيتها من خلال قتال "داعش"، ونزعت نحو التوحد أكثر وتنسيق الجهود بشكل فعال. لكنها نزعت كذلك نحو مزيد من التطرف، كسلاح إضافي في المعركة مع "داعش"، إذ تتنافس المجموعات على الأرض باستخدام صيغ أكثر تشددا للشريعة الإسلامية.

ذلك يكرس المنظور الأكثر أصولية للصراع، والذي حاولت داعش والنصرة تكريسه سابقا لكنهما اصطدمتا بجدار غربتهما التامة عن المجتمع المحلي والهواجس الكبيرة التي تحيط بهما لجهة أنهما عميلتان للنظام. وهذا ما لا يثقل كاهل المجموعات السلفية الأخرى كالجبهة الإسلامية التي باتت تعتبر العنصر الأبرز في المعارضة المسلحة التي تقاتل النظام.

كما انعكس التنافس في إبراز الخطاب الأصولي على الجيش الحر، ومنه جبهة ثوار سوريا التي ذاع صيتها حديثا بعد انخراطها الفعال والحيوي في المعركة مع "داعش". إذ توجهت عبر بيان في خضم المعركة، إلى "الإخوة في الدولة الإسلامية في العراق والشام"، ورحب البيان بهم في سوريا إن كانوا قد أتوا ليكونوا "يد واحدة ضد النصيرية".

وعلى ذلك، يبدو من المبكر الاستنتاج بأن سرعة القضاء على "داعش" تثبت بأن الفكر السلفي، وكما باغت الثورة السورية وتسرب في خطابها حتى أمسكه وطغى عليه، فإنه سيزول بالسرعة ذاتها.

نحتاج إلى مزيد من الوقت لكي نعرف تماما ما إذا كانت التنظيمات السلفية ظاهرة مؤقتة وطارئة على الثورة، أم أنها ستحافظ على وجودها لفترة مديدة لاحقة. ذلك مع الإقرار بأن قسما كبيرا منها أطلق خطابا سلفيا من باب المزايدة والبراغماتية، وستتراجع عن ذلك حالما تتبدل الظروف على الأرض، وينحسر القتال العنيف الدموي، وتبدأ العملية السياسية.

تتمة: «داعش» التي تجاوزت «القاعدة» في قبحها..

إنه لا ينفي وجود «داعش»، وإنما يشير إلى غموض هذا التنظيم، الذي يقاتل الأنظمة ويتعامل معها، يحارب جيش المالكي في الفلوجة والأنبار ولكنه يتواجه مع العشائر التي تعارض المالكي وحكومته، يقتحم مقار النظام السوري بانتحاريين وكذلك يفعل ضد مراكز المجاهدين، قتل خلال الأيام الأخيرة صحافيين وناشطين سوريين سبقوه في الثورة على بشار قدر ما قتل الأخير، فما هو هذا التنظيم الذي رفض أن يسمع ويطيع أمير تنظيم «القاعدة» أيمن الظواهري وكفّر الجناح الآخر لـ «القاعدة» في سورية، ووصفه بالردة؟

إنه فكرة ومنهج أكثر منه تنظيماً، يتسمى بأسماء عدة عبر تاريخه، ولكن عرفه الناشطون الإسلاميون الذين احتكوا به باسم «المكفّراتية»، هكذا سمعت الشيخ عبدالله عزام يسمّيهم، مع غيره من الناشطين العرب الذين سبقوهم في المجيء إلى أفغانستان وبيشاور، عندما ظهروا في بيشاور أواخر الثمانينات تحت ذريعة المشاركة في الجهاد ضد السوفيات. كان المصريون من «الجماعة الإسلامية» وعرب قلائل من جنسيات عدة كانوا نتاج السجون والتعذيب والغضب، نواة هذه الفكرة البغيضة، وكانت عقيدتهم تقوم على تكفير الأنظمة والحكام ومن في دائرتهم. أذكر أن أول صدام حصل بينهم وبين المتطوعين العرب عندما استولى عدد منهم على قافلة مؤن تتبع هيئة الإغاثة الإسلامية السعودية داخل أفغانستان وقتلوا عدداً من حراسها. كان حدثاً مستهجناً يومها في بيشاور، أما اليوم، فمثل هذه الحوادث حصل عشرات المرات في سورية خلال الأشهر الماضية، فكانت مع غيرها من التجاوزات القشة التي قصمت

ظهر أكثر من بعير وأدت إلى ضيق الجماعات المقاتلة هناك وحشدها لإعلان الحرب على «داعش».

لقد سبق هذا التيار «القاعدة» وأسامة بن لادن في التأسيس، بل يمكن القول إن أسامة -وهو رمز «القاعدة»- قد التحق بهذا المنهج بعدما كان جهادياً مثل تلميذه الحالي أبومحمد الجولاني، الذي يحاول التحرر من منهج التكفير، ثم أسبغ عليه مسمى «القاعدة» عام ١٩٩٦ عندما أعلن مع الظواهري في مؤتمر صحافي بأفغانستان «الجبهة الإسلامية لقتال الصليبيين واليهود»، وفتحا باب التطوع للتنظيم، واستسلم بن لادن لمنهج التكفير بعد طول مقاومة.

إنهم «الجماعة الإسلامية» في مصر في التسعينات، يوم كانت تقتل السياح وتسرق متاجر الأقباط، وكانت «الجماعة الإسلامية المقاتلة» في الجزائر في الوقت نفسه تستبيح القرى وتقتل وتسبي وتنهب، وكذلك قيل يومها إن المخابرات الجزائرية اخترقت التنظيم لتخلق حالاً من الخوف والهلع بين صفوف المواطنين ليلتفوا حولها في مسعاها لاقتلاع الإسلام السياسي من الجزائر. توجد كتب تقدم روايات لتلك الحقبة، ولكن لا توجد أدلة دامغة، مثلما لا يوجد اليوم ما يثبت أن المخابرات السورية أو العراقية اخترقت «داعش»، غير أدلة ظرفية وتصريحات خائفة، مثل التي أدلى بها الوزير العراقي الأنف الذكر التي سحبها لاحقاً.

فكر «داعش» هو المخيف، وهو ما يستحق التحليل والفهم، ذلك أنه لا يزال هناك من هو متعاطف معه، والدليل أنه على رغم قبحه والرفض الشعبي له، الذي تجلى في سورية خلال الأيام الماضية، هناك من هو مستعد لتمويله سراً، وهناك شاب غرّ مستعد للانتحار بسيارة مفخخة وسط مجاهدين يراهم مرتدّين ويراهم المجتمع الدولي خطراً على مستقبل سورية. إنه تطرف التطرف، فهل ثمة صورة سوريالية أكثر من «سعلوة» محمد العرب؟

هل الشرق الأوسط مرشح للمزيد من الدماء؟

د. نقولا زيدان

نتساءل بحق عن كل هذا الكم الهائل والسيل المتدفق المتدافع المتشابك من العناصر والتطورات والأحداث المثيرة التي لا تتوقف عند حد، هل تكمن في مكونات وسمات وتركيبة الأزمة السورية نفسها، أم تدخل في مسار وسياق التحضير لجنيف٢ وكل فرق العمل واللجان التحضيرية والمفاوضات الجانبية والغالب عليها طابع السرية والتحفظ والتكتم، حتى تختلط الأمور، وحيث يراد لنا أن نقف حائرين أمام خطة محكمة ومتقنة الإعداد والترتيب جرى الاتفاق عليها قبل شهور والمسماة اتفاق كيري لافروف؟ هل نحن حيال سايكس بيكو جديد بإخراج عصري يلائم المرحلة القائمة ومعطياتها الشرق أوسطية، يجري فرضها قسراً على شعوب المنطقة وعلى الشعب السوري على وجه الخصوص؟

من هي الجهة التي ابتدعت "داعش" وقدمت لها الرعاية والتسهيلات، بل فتحت لعناصرها أبواب السجون وأطلقتها في وسط العراق وغربه (الانبار) ثم راحت تحت ستار ليل الانتفاضة الشعبية السورية والمواجهات العسكرية تتسرب الى سوريا فتطعن الجيش السوري الحر في الخاصرة والخلف، فينعقد جنيف٢ في ظروف مؤاتية لمصلحة نظام الأسد وحلفائه، ليستمر الديكتاتور الدموي وبطانته في السلطة في دمشق مهما كان الثمن؟

الى أي مستوى من البعثرة والتردي والتمزق قادت السياسة الأميركية، ضاغطة في السر والعلن على حلفائها الغربيين والدول العربية المساندة للثورة السورية، لحجب المساعدات العسكرية النوعية الناجعة والفعالة عن الثورة، مستبدلة أقنعة التحفظ والتريث بأقنعة أخرى مع ندها الروسي، بهدف تحويل مؤتمر جنيف٢ (مونترو) الى حل منقوص وجهيض المستفيد الأول من نظام الأسد وحلفاؤه الإقليميون والدوليون؟

ما الذي يدور في الأنبار حيث معارك الفلوجة والرمادي، حيث المواجهات بين "داعش" و"النصرة" و"القاعدة" والجيش العراقي ومسلحي العشائر؟

إن تاريخ "داعش" لجهة من أنشأها وطوّرها وسهّل لها، والغاية التي أعدت لها ولمن تعمل ولمصلحة من وتخدم أي أهداف ووفق أي أجندة؟ كل ذلك لمعروف وجليّ للقاصي والداني!

إنه النظام الأسدي وحليفه في طهران مروراً بحكومة المالكي لصاحبها في طهران. وهل تخفى علينا خلافات المالكي في زيارته الأخيرة لواشنطن عندما قطع زيارته وعاد مثقلا بالضغوط الأميركية لينقلب على "داعش" التي ساهم في صنعها؟ أهل كان الانقلاب على "داعش" أحد الشروط الضمنية في الاتفاق النووي الإيراني الغربي؟ لا بل من المؤكد أنه كان في صلب اتفاق كيري لافروف. فهل من باب الصدفة أن يبدأ لافروف يروّج في الآونة الأخيرة أن مؤتمر جنيف٢ قد يتحول الى مؤتمر ضد الإرهاب؟ لعبة ذكية يديرها الكرملين لتحويل المؤتمر عن مساره الحقيقي المنبثق عن جنيف ١ والذي نص على حكومة سورية انتقالية كاملة الصلاحيات في مرحلة ما بعد الاسد كما جاء حرفياً في بيانه الختامي (٢٠١٢/٦/٣٠).

في المفهوم السياسي الذي لا يحتاج للكثير من الذكاء والادراك، لا يمكن الفصل بين التخاذل الاميركي حيال استخدام الاسد للسلاح الكيماوي من جهة وعقد اتفاق كيري - لافروف من جهة أخرى، لا بل وصولا للاتفاق النووي الايراني - الاميركي - الغربي دونما ادنى شك كمحصلة منطقية لتبادل المصالح وعقد الصفقات.

لمن المذهل والمعيب ان ينصح السفير روبرت فورد راس فريق العمل الاميركي المكلف بالاعداد لجنيف٢، المعارضة السورية بالتوجه الى موسكو طلبا للسلاح الضروري للجيش السوري الحر والذي تأبى واشنطن تسليمه له. وفي الحال نصل الى استنتاج هو قمة في الاحباط: إذا كانت كل

مؤتمرات اصدقاء الشعب السوري اشبه بمسرحية متعددة الفصول انعقدت بهدف اطالة الحرب السورية واستمرار معاناة الشعب السوري ومآسيه.

أتحولت سوريا على ضوء هذه المعطيات الملتبسة والمريبة الى كعكة جديدة للقوى العالمية والاقليمية تماما كما كانت بولندا في القرنين الثامن والتاسع عشر الماضيين تتقاسمها بروسيا وروسيا والنمسا فغابت عن خارطة اوروبا حتى مؤتمر باريس (١٩٢٠) لتعود مجددا عام ١٩٣٩ فتشكل الفتيل الصاعق الذي اشعل الحرب العالمية الثانية.

ان وحدة اراضي سوريا وشعبها لمهددة الآن بأشد المخاطر، ودماء الشعب السوري ومهج شعبها وأرواحهم تتقاذفها الأطماع والصفقات والاتفاقات السرية، فما بالك من ملايين النازحين داخل سوريا وخارجها.

بل أسوأ من ذلك عندما ينتقل الصراع الدموي الى لبنان، بعد تورط حزب الله في الحرب هناك... فالذي جرى بالضبط انه ادعى ارسال مقاتليه لمقاومة "التكفيريين" في سوريا فاذا به يستقدمهم الى لبنان.

وفي ظل الأزمة اللبنانية المتعددة الجوانب التي تتخبط في فصلها الاخير منذ تسعة شهور، يرسل النظام السوري المتوجس هلعاً من جنيف ٢ وبالتحديد من احتمال توافق طهران مع الاتجاه العام السائد هناك بضرورة تنحي الاسد، أزمته الخانقة الى ارضنا، فنعيش في حالة لا توصف من الخوف والهلع من الاغتيالات والتفجيرات المتواصلة.

بل تتحدث الصحف الايرانية وقادة الحرس الثوري هناك عن اسابيع مقبلة حافلة بالمزيد من سفك الدماء على ارضنا. وتأتي زيارة محمد جواد ظريف وزير خارجية ايران في هذا السياق بالذات بمعنى انه قادم ليشد ازرنا فننقض على الجراح ونصبر حتى يرفض جنيف ٢ عن نتائج ملموسة قابلة للتنفيذ، تلك النتائج التي ستطيح بالنظام الاسدي الذي يتشبث بالسلطة في دمشق. ومن اجل ذلك نجده مستعداً دفاعاً عن رمقه الأخير لتحويل ليس سوريا كلها فحسب بل العراق ولبنان الى بحر من الدماء.

الائتلاف وعقدة الاستقطاب

علي العبد الله

على جدول اعمال الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة في اجتماع الهيئة العامة المنعقد في اسطنبول موضوعات تنظيمية وسياسية في مقدمتها انتخابات للرئيس ونوابه وأعضاء للهيئة السياسية والموقف من جنيف٢. موضوعات لا تحظى بإجماع اعضاء الهيئة العامة ما يطرح أسئلة حول الخلفيات التي تحكم المواقف والاصطفافات.

يأتي الاجتماع في لحظة سياسية شديدة الدقة والتعقيد في ضوء استحقاق جنيف٢ في الثاني والعشرين من الشهر الجاري ووقوع الائتلاف تحت ضغوط محلية وإقليمية ودولية متباينة في هذا الخصوص، وحاجته الى جسر الهوة مع القوى السياسية والعسكرية الرافضة لحضور المؤتمر، وعدم الاضرار بعلاقاته مع دول اقليمية ودولية تطالبه بحضور المؤتمر، وخسارة دعمها السياسي، مع وجود تباينات داخله حول هذا الملف وملفات سياسية وتنظيمية أخرى ما يجعل التوفيق بين هذه المطالب والمواقف المتعارضة في غاية الصعوبة.

يعاني الائتلاف من هشاشة بنيوية ترتبت على ظروف تشكيله والخلفيات التي حكمتها والصيغة التي أخذها. فقد تشكل برعاية أمريكية قطرية دون اعتبار لمواقف اطراف اقليمية(تركيا والسعودية) ودولية(اوروبا وفرنسا بخاصة). غير ان تركيا تكيفت مع الوضع بعد ان

ضمنت موقعا مناسبا للقوة التي ترعاها (جماعة الاخوان المسلمين) وبقيت السعودية خارج الصيغة ما دفعها لتبني المجلس الوطني السوري ووضعه في مواجهة الائتلاف ورعاته، ولما لم تجد خطوتها سعت الى وضع اليد على الائتلاف بالتفاهم مع واشنطن، التي تحفظت على اسلوب قطر في ادارة الملف السوري، ونجحت في ايصال محازبيها الى قيادته (الجربا وفريقه).

فتح التصرف السعودي معركة استتباع الائتلاف من جديد، خاصة بعد التوتر الذي طغى على علاقتها مع قطر والفتور الذي ساد علاقتها مع تركيا في ضوء تداعيات الانقلاب المصري والمواقف المتعارضة منه، فنشط التحالف التركي القطري لاستعادة حضوره في الائتلاف والمشاركة في ادارة الملف السوري وقد عبر عن نفسه في التواصل مع كتائب مسلحة ورعاية تشكيل تحالفات وتكتلات عسكرية بعيدة عن قيادة الاركان المرتبطة بالائتلاف الذي ترعاه السعودية قبل ان يتم التنسيق لخوض معركة انتخابات رئاسة الائتلاف (اجتماع وزيري خارجية البلدين خالد العطية واحمد اوغلو في اسطنبول قبل ايام) وحشد القوى لذلك عبر تشكيل تحالف بين الدكتور رياض حجاب ومصطفى الصباغ وترشيح الأول لرئاسة الائتلاف في مواجهة رجل السعودية احمد الجربا، والثاني للأمانة العامة في مواجهة الامين العام بدر جاموس، وتعزيز فرص التحالف بالفوز عبر تبني موقف متحفظ من المشاركة في جنيف٢ لكسب أصوات الرافضين من اعضاء المجلس الوطني السوري والمجلس العسكري.

لم تأت الريح بما تشتهي سفن التحالف حيث لم ينجح مرشحوها في الانتخابات ما ينذر بتجدد الضربات الجانبية التي سيوجهها للائتلاف في الايام القادمة كما حصل عندما خسر الانتخابات الماضية حيث حولت اموال الاغاثة من وحدة الدعم التابعة للائتلاف الى غسان هيتو لاستخدامها في كسب الانصار والولاءات.

التتمة في الصفحة ٤

أوجه التشابه بين "داعش" ونظام الأسد

مال قارصلي

في عدد من المناطق السورية تدور الآن معارك طاحنة بين ما يسمى بالدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" وفصائل متعددة من الجيش الحر والجبهة الإسلامية وغيرها والتي أدت إلى سقوط العشرات من الشهداء وكذلك المئات من الجرحى وتم أسر عددا كبيرا من عناصر داعش ولا أحد يستطيع أن يتنبأ، إلى ماذا ستؤول إليه الأمور في النهاية.

إن ما نتمناه هو أن تعتبر الفصائل التي قامت بتحرير هذه المناطق من نفوذ داعش أن لا تعيد الأخطاء نفسها والتي أخذتها داعش ذريعة للإندساس في مناطقها. أما من كان يراقب تطورات الأحداث في المناطق المحررة فكان يلاحظ بأن التوتر بين داعش والفصائل الأخرى قد بدأ منذ أشهر طويلة وأن هذا التوتر في تزايد مستمر وأن التصادم آت لا ريب فيه.

إن أحد أهم أسباب التوتر بين دعاش والمجموعات الثورية الأخرى هو التباين ف الإستراتيجية فيما بينها. داعش كان لا يهمها في الدرجة الأولى إسقاط النظام بل هو السيطرة علي المرافق الإقتصادية مثل منابع البترول أو السدود المنتجة للكهرباء أو المطاحن أو المعابر الحدودية أوالمخابز. لقد قامت داعش ومنذ البداية بإستقطاب الكثير من الشباب السوريين، مستغلة أوضاعهم المعيشية المزرية وأستطاعت أن تتسلل إلى داخل كثير من المدن والمواقع المحررة من سيطرة النظام بحجة أنها تريد أن تفرض الأمن والأمان في تلك المناطق بسبب نشوء هناك فراغ أمني وإداري وخدمي كبير. لكي تحكم داعش سيطرتها على تلك المناطق وضعت لنفسها قانونا يشبه قانون الطوارىء الذي إستخدمه النظام في سوريا ولعشرات السنين ولازال يستخدمه إلى يومنا هذا لكي يستعبد بواسطته الشعب السوري بالرغم من أن النظام قام قبل حوالي سنتين بإلغاء هذا القانون شكليا ولكنه وفي الحقيقة وضع بدائل له وهي أشد قسوة ولا إنسانية من قانون الطوارىء. بواسطة القوانين "الداعشية" والتي أعطت صلاحيات تنفيذها لأشخاص غير مؤهلين للقيام بتلك المسؤولية لا من الناحية العلمية ولا من الناحية المهنية، أصبحت داعش تستطيع أن تكفّر من تشاء وتجرّم من تشاء وتعدم من تشاء وتخطف من تشاء وحتى لو كان المخطوفين من قيادات الكتائب الثورية. إضافة إلى ذلك أصبحت داعش تقوم بالمجازر ضد الثوار المعتقلين لديها وكذلك تعتقل رجال دين مسلمين وغير مسلمين، مثل الأب باولو، والذين لهم مواقف مشرفة في دعم الثورة السورية. كذلك إستخدمت داعش نفس الطريقة الدكتاتورية لفض المظاهرات المناوئة لها وذلك بإستخدامها للرصاص الحي من أجل تفريق المتظاهرين وكذلك منعت التدخين وأغلقت في بعض المناطق كل صالونات الحلاقة وفرضت على أصحاب المحلات التجارية إغلاق محلاتهم عند موعد كل صلاة وصارت تتهم أكثر المجموعات الإسلامية والمسلمين بالكفر والزندقة وأشياء أخرى. إن ما قامت به داعش من أعمال وأفعال هي غريبة عن طبيعة وعادات وتقاليد المناطق التي فرضت عليها سيطرتها وجعلت الأهالي يشكون في مصداقيتها لأن ما كانت تقوم به لا علاقة له لا بالدين ولا بالشرع ولا بالقانون وهي كانت تقدم بواسطة عملها هذا أفضل خدمة للنظام والتي كان النظام بأمس الحاجة إليها ألا وهي تشويه صورة الثورة والثوار في داخل وخارج سورية. وبهذه الأعمال الإجرامية قامت داعش كذلك بتشويه صورة الإسلام في العالم والذي يعتبر التسامح والتعايش مع الديانات والشعوب الأخرى من دعائمه الأساسية. على سبيل المثال في أندونوسيا وهي أكبر دولة إسلامية في العالم لم ينتشر الإسلام بالطريقة "الداعشية"، أي يعني بطريقة الإجبار والإكراه، بل إنتشر بحسن أخلاق ومعاملة التجار المسلمين آنذاك وحسن إقناعهم للناس. أليس الدين هي المعاملة؟ فبناء على ذلك فإن ما تقوم به داعش لا علاقة له بالدين لا من قريب ولا من بعيد ودين الإسلام براء منها ومن أمثالها.

إذا كانت داعش تريد أن تحارب النظام فما عليها إلا أن تذهب إلى الجبهات المفتوحة مع النظام وهي تعلم أين هذه الجبهات وليس عليها ان تأتي إلى المناطق التي حررها الثوار بدمائهم وأرواحهم وتحاول السيطرة عليها، وإذا كانت داعش تريد ان تحارب إسرائيل فهي تعرف أين هي إسرائيل. والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو عدد العمليات العسكرية التي قامت بها داعش ضد إسرائيل منذ وجودها إلى يومنا هذا؟ حسب معرفتي الشخصية وإطلاعي، لم تقم داعش بأي عمل عسكري ضد الكيان الصهيوني إلى هذا اليوم. هذا يذكرني بما تقوم به قيادة "حزب الله" والتي تريد أن تحارب إسرائيل بواسطة إرسال ميليشياتها المسلحة إلى حلب للقتال ضد الثوار السوريين. أما ما يلفت النظر كثيرا وهو عدم ضرب النظام لأي موقع من مواقع داعش بالرغم من أن داعش كانت تأخذ من الأبنية الرسمية في المناطق المحررة مقرا لها والتي إحداثياتها معروفة بشكل دقيق لقوات النظام وهي كذلك لم تستخدم أبدا أي نوع من أنواع السلاح ضد طيران النظام الذي كان يقصف الأهالي الآمنين. وهنالك سؤال آخر مهم أيضا وهو لماذا لا يوجد أي قيادي سوري بين صفوف قيادات داعش في سورية؟ إذا كانت داعش تظن بأن الثورة السورية بحاجة إلى محاربين غرباء، فهي مخطئة بذلك. ما تحتاجه الثورة السورية في المرتبة الأولى هو المال والسلاح قبل كل شيء وليس إلى من يأتي من خارج سوريا ويريد أن يتحكم بها ويجلب معه عقلية لا تتطابق مع مفاهيم المجتمع السوري الدينية والقانونية وحتى مع أعرافه وتقاليده.

كل المؤشرات تدل على أن داعش هي من صنيعة النظام وبخاصة قياداتها ولا أحد يشك بوجود كثير من الشباب المغرر بهم بين صفوفها. النظام هو المستفيد الأكبر من إندساس داعش إلى داخل سوريا لأنه إستطاع وللأسف أن يلعب بورقة الضغط "الداعشية" بشكل جيد في المحافل الدولية على مبدأ: داعش هي بديلي، إما أن أبقى أنا في الحكم أو أن تحكم داعش من بعدي. وأراد النظام كذلك أن يقتل الحاضنة الشعبية للثورة السورية بين الأهالي بسبب أفعال داعش الشنيعة. داعش إستطاعت أن تضلل الشعب السوري لمدة عامين متتاليين بإكذوبة بأنها أتت إلى سوريا من أجل محاربة النظام مثلما إستطاع النظام أن يضلل الشعب السوري ولمدة أربعين عاما بكذبة الممانعة والمقاومة. لقد شوهت داعش وأمثالها صورة الثورة السورية في العالم والتي إنطلقت من أجل الحرية والكرامة وقد تم إستخدام وجود داعش في سوريا كذريعة لكي لا يقوم "أصدقاء الشعب السوري" بدعم الثورة السورية. لقد آن الأوان وعلى كل الغرباء والمرتزقة والطائفيين من لبنان والعراق والشيشان وأفغانستان ودول أخرى أن يغادروا سوريا الى حيث أتوا لأن سوريا للسوريين وهم أدرى بشعابها.

الائتلاف وعقدة الاستقطاب

علي العبد الله

كل هذا والشعب السوري يواجه دون سند جاد وحشية النظام وحلفائه وظروف معيشية وطبيعية بالغة القسوة في ضوء تراجع الدول الداعمة اما بسبب سعيها لكسب ولاءات(فقد انتشر نبأ وقف تسليم الدعم الى بلدة المعضمية المحاصرة لان الناشطين فيها ليسوا اسلاميين) أو تحت ضغط واشنطن التي تعمل على تجفيف موارد الثوار حتى تضطرهم على المشاركة في جنيف٢، ناهيك عن ارتباك في صفوف الثورة ان على الصعيد المدني او العسكري ما قاد الى خسارة مواقع وتدني في معنويات البيئة الحاضنة وقبول المواطنين بشروط النظام لرفع الحصار عن المعضمية وبرزة بعد ان تسارعت وتزايدت حالات الوفاة من الجوع والبرد.

يعود تدني مستوى اداء الائتلاف وعجزه عن توفير احتياجات المواطنين في الشتات، داخل البلاد وخارجها، ناهيك عن متطلبات الحراك الثوري المدني والعسكري، وفشله في فرض أي من مطالبه لحضور مؤتمر جنيف٢، الى سيادة الاستقطاب وعقلية ثأرية لدى كوادره وبعض الدول الداعمة له تجلت بتصرف رئاسة الائتلاف والقوى المتحالفة معها بمنطق المنتصر الذي حاز حق التصرف دون اعتبار لمواقف الاطراف الأخرى، وفق ما يفرضه منطق الائتلاف والتحالفات السياسية، وإبعادهم عن أي دور في صنع القرار، باعتبارهم مهزومين، واحتكارهم حق التحدث باسم الائتلاف، والتصرف بمقدراته بعنجهية سافرة(تحول اعلام الائتلاف الى بوق لتسويق تصرفات الجربا وكثيرا ما استخدم وصف رئيس معرفة ودون اضافة تربطه بالائتلاف، كما وصف محازبوه المبالغ التي وزعت في الداخل السوري بتبرعات منه) وقد عمقت هذه الحالة صراعات الدول الداعمة واعتمادها ذات العقلية الثأرية في الرد على مكاسب الخصوم بالتصرف دون اعتبار للنتائج وانعكاسها على الشعب والثورة السوريين.

يحتاج الائتلاف الى اعادة الاعتبار لمنطق التحالف والقوانين التي تحكمه كي ينجح في تكوين جسم صلب ومتماسك قادر على التعاطي مع لحظة سياسية شديدة الخطورة تنذر بمخاطر قد تطيح بتضحيات الشعب السوري طوال شهور الثورة ما لم تدر بجدية وحرفية، وتوحيد الجهود والخبرات والعلاقات بشكل محسوب لانجاز مهمة تحقيق اهداف الثورة في نقل البلاد الى نظام ديمقراطي تعددي يساوي بين مواطنيه في الحقوق والواجبات دون اعتبار للدين او المذهب او العرق او الجنس وإلا استمر شلال الدم والدمار.

افتحوا عيونكم على سوريا..

اجهينة خالدية

ماذا يحصل لو فتحنا عيوننا على المأساة السورية؟ ماذا يحصل لو رأينا تلك المجاعة بالصور الفوتوغرافية والأخبار والفيديوهات؟ ماذا يحصل إن بكينا؟ لا بل ماذا يحصل إن أجهشنا في البكاء ورددنا "يا رب لطفك"؟ هل تراهم يا الله؟

عاجزون أمام صورة آلاء المصري. أمام ذلك الجسد الخشبي الذي تبحث عدسة الكاميرا عن ملامح طفلة فيه ولا تجد. تقترب، تبعتد، تهتز علها ترى في جلدها، أو شفتيها أو عينيها أو يديها، ما يوحي بأن هذا الجسد يعود إلى كائن صغير دبت فيه الحياة يوما. لا فرق كبيراً بين صور آلاء وصور العجزة في المشاهد التالية. كلهم أفواههم مفتوحة إلى السماء بإنتظار كسرة خبز أو مصل أو ماء. كلهم عيونهم جاحظة وكانت آخر ما رأته تفاهة عالم لم يستطيع أن يوصل لهم "كمشة" طحين.

ليس جسداً حيّاً ذاك الذي حملته المرأة في تقارير نشرات الأخبار. لم تكن آلاء قد استشهدت بعد، لكن لا شيء فيها كان يوحي بأنها على قيد الحياة. غلب الجوع آلاء وقتلها بعدما أصيبت بالجفاف وسوء التغذية، ما أدى إلى قصور كلوي، نتيجة الحصار المفروض على مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين في سوريا. تركها كقطعة خشبية قاسية، يعلوها رأس ثقيل. تحركها المرأة أمام الكاميرا وتردد "خليهم حكام العرب يتفرجوا علينا، منشكيهم لله، شوفوا الأطفال، طفلة ما قبلوا يمرروها على الحواجز، تفضلوا هيدي الطفلة، تفرجوا عليها".

والعالم يتفرج. في الواقع هذا كل ما يفعله العالم. هذا كل ما نفعله، وستشكونا آلاء جميعاً، لا الحكام فقط. آثمون نحن، وأضعف الإيمان أن نعترف بآثامنا، لأن كل ما فعلنا أننا بكينا، واكتأبنا وبتنا نشيح نظرنا عن صور اليرموك لقسوتها، ولأننا كتبنا على جدراننا ونعينا، ربما تبرعنا ببعض الثياب.. وعدنا إلى حياتنا الطبيعة، بعدما "أرحنا" ضمائرنا. أكملنا حيواتنا، أكلنا وتفرجنا. كلنا شريك في المجاعة..

لا أحد يستطيع أن ينكر أن ناشطين كثيرين يعملون في ملف الإغاثة في الأزمة السورية، منهم من لا يغيث إلا حسابه المصرفي ويزيد أرقامه، ومنهم من يدفع من جيبه الخاص، وربما يخاطر بحياته ليوصل بعض الطعام والثياب.. ونعرف أن برامج عدة تحاول أن تتواصل مع الطرفين المتصارعين لتجد طريقة لكسر الحصار ببضعة أكياس طحين وعبوات الحليب.. لكن أمام كل التقارير العالمية أو الإقليمية أو المحلية التي تفند مساعداتها لسوريا، لا يسعنا إلا أن نقول: لا يهمنا. لا شأن لنا ببرامجكم، نهتم فقط لذلك الوجه الأصفر الذي مات ونحن نجلس أمام الشاشات نتأمله يموت، ببرودة ما كنا نعرف أنها كامنة فينا. نشاهد الفيديوهات المتلاحقة التي يريدنا النظام وميليشياته أن نحفظ جيدا لنرتدع والتي يسعد لخروجها إلى العلن ليقول مجدداً إن هذا مصير من يحاربه.

لن نعرف يوماً رقم آلاء في عداد الشهداء، فالجهة الأولى (الأمم المتحدة) المفترض أن توثق كل هذا الموت تعبت، وقررت أن تتوقف عن العد. ما هذا التخلي يا الله؟ العدّ توقف، والقتل مستمر. كيف؟ العدّ توقف والعدّاد الوحيد الذي يزيد ويزيد هو عدد المشاهدات لفيديوهات القتل والتعذيب والتجويع، لماذا؟ لأننا نتفرج.

لأننا نفتح عيوننا على المأساة السورية كما طلب منا الفيديو الذي أطلق قبل أسابيع بالتعاون مع "اليونيسف". الفيديو الذي شارك مجموعة من النجوم والموسيقيين البريطانيين، بينهم سفير "اليونيسيف"، الممثل إيوان ماكريغور، وأطلق تحت عنوان "لا مكان مثل البيت"، يريد أن يلفت أنظار العالم إلى معاناة الأطفال السوريين طالباً دعمهم والتبرع لحملة شراء الثياب الشتوية لهم. فعلاً لا مكان كالبيت للسوريين ولأي لاجئ في العالم.. لكن السوريين اليوم، يريدون السقف ويريدون الثياب ويريدون قبل ذلك بعض الطعام، ويريدون تحركاً دولياً فعلياً لا مجموعة من الفيديوهات المؤثرة التي تنتج سوريا يومياً أقسى منها، وأكثر واقعية ومأسوية وتأثيراً.

هكذا ونحن نشاهد فيلم الدعم، نفتح عيوننا على هذه المأساة جيداً، نشعر أن "اليونيسف" نفسها وكل المنظمات الدولية التي تحاول أن توعي العالم على الأزمة السورية بفيديوهات وشرائط توعوية.. هي سبب رئيسي لهذه المأساة، وطالما أنها مقصرة في ايجاد الحلول وتأمين الإغاثة، فما عليها إلا أن تتحول إلى جمعية للفنون يمكن أن يكافئها العالم على أفلامها الإنسانية.

تنتهي الموسيقى الحزينة لشريط "اليونيسف"، لكن تبقى جملة الطفلة في "برومو" من انتاج "فجر برس" وهي تكرر "نحنا رح نموت أبقوا اتذكرونا" عالقاً طويلاً في الذهن. ويُجفل صوت المرأة التي تصرخ "نحن عم ناكل أكل البقر، ونحن عم نحوش أكل الحمير عم ننقنص، بدنا جمعية الرفق بالحيوان، لك ما بدنا انسان". ويعود صوت الممثل العالمي ليقول للعالم "افتح عينيك على سوريا"، دعوة لا تختلف كثيراً عن المرأة التي حملت آلاء وهي تعلن "تفضلوا هيدي الطفلة، تفرجوا"، لكن الفرق أن الدعوة الأولى تخرج برعاية منظمة يُفترض أن تحدّ من المأساة، والدعوة الثانية تأتي من شعب يعيشها.. ونحن نتفرج.. ونكتب نص كهذا، الذي نعرف أنه ليس سوى دليل إضافي عن العجز.

واقع فقد عقلانيته

ختام غباش

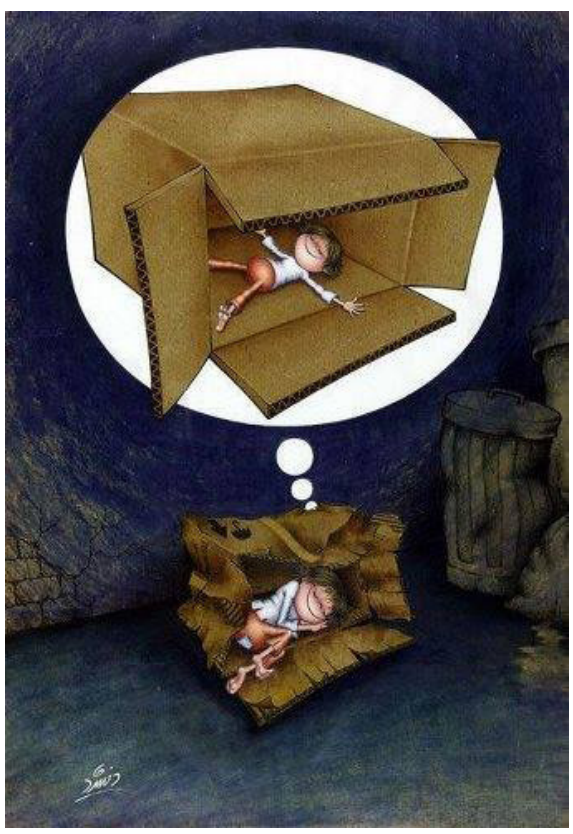

- هنا وعلى جنبات هذه الجدران تتلحف الحجارةُ أصواتٌ قد اعتادتها، تغفو معتنقة إياها لتنام مطمئنة، وفي ذاك اليوم الذي تلا ما سبقه تستفيق هي نفسها على انين محشرج لا تقاسيم لتحرره، ليليها في اليوم الذي يليه انكماش في أفئدتها عند الغرق في صميم وجوه جديدة لا قدرة لها في قراءة معالمها.. لا خدش هنا ولا قحف يباغت صميمها كل ما هنالك بأن الصوت لم يعد صوت من كان، وصدى الضحكات المختزنة ليست هي نفسها، والأهم منه أرواح من كانوا غابت في متاهات لا نهاية لها..×

- بدأت الحكاية عندما قال لي أحدهم من حمص "بأنكي سوف تشهدين التحول عندما ترين أصدقائك وجيران بيتك وهم يرتدون أقذر الوجوه التي فرضتها علينا وعليهم شروط البقاء الممرحل.."

- شاب يافع جل ما كان يحلم به سابقا: أن يصبح مهندس يبني ويعمر، خاب حلمه فاستبدله الواقع بمهنة معمرجي×، وفي ليلة وضحاها باغت حلمه حلمٌ من نوع آخر فرضته شجاعة المرحلة ونخوة لا حدود لها.. لا بل كان لها حدها وحدها القاطع أيضاً.. قبل رحيله و بعده غدا اسطورة لأطفال وفتيات الحي اللواتي بتن يتغنين بعنفوانه، وقدوة لفتيانها وشبانها أيضاً، الجميع بلا استثناء يتحدث عن بطولاته ويروونها بنهم يشوبه الرغبة بالمزيد والمزيد منها حتى بتنا ننعته "بوليام والاس"..

- في سياق آخر شاب يافع هو من أقنعة المرحلة نفسها، قادته المرحلة للانخراط في كل ما كان من... ليغدو الآن يعتاش على كل ما عليه الآن من...

- تقتطع جدران المنازل الجوفاء فتحات للحياة.. هنا شرفة تقابل شرفة وبلكونة تقابل أخرى، هي الآن تفتقد للمكان الذي كانت عليه..

لا فتاة تذوب في لحظات الانتظار الطويلة، ولا صافرة يطلقها أحدهم لتغدو لقاء تبدأه شيفرة متفق عليها، لا أثر هنا لطالبتين يتناقلان وظائفهما على البلكونة، وكرة تكسر بلادة اللحظة وذبولها، لا مكنسة تمر على عتبات أبواب تفتقد لزوارها، برودة شعواء تلف ترانيم درابزين سلالمه كانت معزوفات لزقزقة عاشقين ودفء لحظات في أحلك ليالي الشتاء وأعتاها.

التوغل في حنايا تلك الحارات واستحضار كل ما كان، والشحوب الذي باتت عليه يبعد كل رغبة في العودة إلى هنا..

- كل ما بقي هنا هو خيانة للذين باتوا هناك..

- اصوات صاخبة تدوي الهنا، تشق عباب ساعات صمت غلّف أفئدة ذاك الحي على مدار العامين، جل ممن كانت تصله نفحاتٌ ذاك الصوت يخرج وكأنه من المنفى الغائب مستهجناً ذاك الدبيب. يعلو صوت أمي فوق صوت الموسيقا قائلة "أنه عرس فلان".. أنا: أليس الفلان قد ورد نبأ موت أخاه هناك منذ يومين؟؟

تجيبني أمي بنعم ولكن هذه المرة بصوت لا يكاد يُسمع..

الكثير من الهنا عليه أن ينتشل مني لأبقى، والكثير من تاريخ هذا اليوم عليه أن يبقى بي كوقود ينتشلني مني أنا..

ومضى عام يا منى ويا ريا!!!..

× ثلاث مراحل عاشها الحي..

وردة حمراء لفلسطين الشمالية

الياس خوري

لا أملك يا سيدتي سوى كلمات أرسمها كوردة حمراء أقدمها لك في رأس السنة. وردة حمراء تنزف دما سكبه بناتك وابناؤك خلال سنوات ثلاث طوال. لا أملك، انا المُعلق على صليب ألمك، سوى أن أنحني على التراب الذي تلوّن بأحمر الدم وأحمر الحلم، وأضع الوردة التي قطفتها من حديقة الكلمات تحت قدميك. لا أملك يا شام سوى أن أردد اسمك، كي أحتمي من اليأس باليأس، ومن الألم بما بعد الألم. كتبت لك مرة أن وطني يؤلمني، واليوم أكتب لك من جديد، اشكو منك لك، وأضم جراحك إلى صدري، وأعيش معك أوجاع نكبتنا الجديدة. في الماضي كان الفلسطينيون يطلقون على بلادهم اسم سورية الجنوبية، يوم كانت البلاد حلما بالديمقراطية والإستقلال، كما رفع اللبنانيون العلم العربي في ساحات مدنهم وهم يرون في بلاد الشام بلادهم التي عليهم بناؤها من جديد. ما لنا وللماضي، صرنا حين نتكلم عن حلمنا المجهض، نُتهم بالرومانسية واللاواقعية. لكننا، ونحن نحاول أن نكون واقعيين كما يريدنا هذا الزمن أن نكون، نكتشف كيف وقع الواقع، وصار أشلاء تحت أقدام الإستبداد الوحشي الذي يصنع لنا وبنا نكبة جديدة قد تكون أكثر قسوة ووحشية من نكبتنا الأولى. لا أريد المقارنة بين نكبتين، لكن إذا كنا نستطيع التذرع بسذاجتنا السياسية وضعفنا كي نبرر نكبتنا في فلسطين، فإننا لا نملك أي ذريعة تبرر نكبتنا الثانية في سوريا، وانهيارنا السياسي والأخلاقي في لبنان، وهذا التشظي العراقي الذي لا يرحم. في الماضي كنا نسمي فلسطين سوريا الجنوبية، وكانت هذه التسمية علامة أمل بالتحرر من الإستبداد العثماني والإستعمار الغربي، وبناء الدولة الديمقراطية. لكن ماذا نسمي اليوم؟ هل سنضطر أن نطلق على سوريا اسم فلسطين الشمالية، ونحن نرى كيف تدمر البلاد ببراميل البارود، ويذل الناس ويشرّدون من ديارهم ويجوعون ويُخطفون؟ ماذا نقول لخاطفي رزان زيتونة ورفاقها؟ وكيف نتكلم مع خاطفي الأب باولو، وهم يسرقون الثورة ويدمرون القيم، ويحطمون ما لم يستطع نظام الإستبداد الأسدي أن يقوم به طوال أربعة عقود؟ اسئلة وكثير من علامات الإستفهام. لكن قبل أي كلام أريد أن أسأل أحمد الجربا وقيادة الائتلاف ماذا فعلوا مع أصدقائهم السعوديين، رعاة جيش الإسلام الذي خطف رزان؟ هل هانت سوريا وهان ثوارها عليكم أيها الناس؟ هل فقدتم ألسنتكم؟ هل تعتقدون أنكم تقودون شعبا أطلق في بداية ثورته شعار 'الشعب السوري مش جوعان'، بمال النفط والغاز، بعدما نجح الإستبداد في تجويعه. كيف تجرؤون على الكلام ورزان زيتونة وسميرة الخليل ووائل حمادة وناظم حمادي، منعوا من الكلام، وهم اليوم في اللامكان؟ نكبتنا في سوريا لها ثلاثة اسماء: نكبتنا بالوحش الإستبدادي أي بشار الأسد وبطانته من القتلة والسفاحين الذين قرروا إحراق سوريا. ونكبتنا بجيوش القاعدة ومن لف لفها من الأصوليين الذين تفوح منهم روائح النفط، والذين يريدون محو الوجود الوطني، واستبداله بخطاب صنعه الإنحطاط، يقذف بنا إلى خارج الزمن. ونكبتنا بنخبة سياسية معارضة، قررت أن تقود من الخارج، وراهنت بحماقة على التدخل الخارجي، الذي لم يتأخر، لكنه جاء خلافا للتوقعات الساذجة لمصلحة المستبد، عبر دعم إيراني روسي لا محدود. أسماء ثلاثة تأتلف كي تصنع نكبة جديدة في سوريا، جاعلة من بلاد الشام، من جنوبها الفلسطيني إلى غربها اللبناني إلى شمالها السوري ساحة للموت. وكما يبيع الأمريكيون سوريا الجنوبية للغول الإسرائيلي، فإنهم يبيعون فلسطين الشمالية لوحش الدمار والإندثار. وكما لا تزال النخبة السياسية الفلسطينية عالقة في وهم المفاوضات ووهن الإتكال على 'الوسيط' الأمريكي، فإن المعارضة السورية لا تزال عالقة في العجز، تسلم أوراقها للخليجيين وتنتظر التفاتة أمريكية تنقذها من خرابها. أسئلة ولا جواب في الأفق. لكنك أنت يا سيدتي تقفين فوق الخراب وترفضين الموت. من مخيم اليرموك حيث تفترس المجاعة أبناء الجليل الذين طردوا عام ١٩٤٨، إلى غوطتي المعاناة مع الجوع والقصف والذل. ومن حلب التي تنتفض اليوم ضد الذل الداعشي وهي تئن تحت البراميل المتفجرة إلى كفرنبل التي منها انطلقت صيحة الثورة ضد العتمة التي يريدون فرضها على سوريا وشعبها. تقاومين يا سيدتي كما لم يقاوم أحد. محاصرة بالموت والخيانة لكنك ترفعين عينيك المبللتين بالدموع المحترقة، وتصرخين بحريتك وحريتنا. لن تكوني فلسطين الشمالية بصفتك نكبتنا الجديدة، بل ستكونين فلسطين كلها عندما تنفضين الموت عن كتفيك وتنتصبين من جديد إسما للحرية. اقبلينا يا سيدتي أبناء يتعلمون بين يديك فك أحرف كلمة الحرية، وتقبلي منا هذه الوردة الحمراء واغفري لنا

هذيـــــان

بكري جابر

إنها السادسة وعشرون دقيقة ..
أخرسُ فيروز .. نعم أخرسها ..
.. اقتربُ من النافذة ... أستمعُ بكلّ حذر ..
.. لا أسمعُ زقزقة العصافير .. أنتظرُ قليلاً
.. أقسمُ ليس هنالك أي صوت لزقزقة العصافير
..
... أدعُ فيروز تُكمل غناءها
أحاول تذكر اليوم الذي أنا فيه
أكلّمُ نفسي : ((إن كان فلان قد استشهد يوم الخميس فإن البارحة يجب أن يكون الجمعة))
تذكرت ..
وعلى بُعد اللابعد من مجزرة اليوم
أعتقدُ أنها ستكووون في حمص ، أو درعا .. مجرّد حدس لا أكثر
أتذكرُ ما كتبته عندما رأيتُ صورة الطفلة التي قُطعَ رأسها :
((يموتُ الطفلُ في المهد .. ولا شيءَ سوى الدمع وبعضاً من كذب
نم يا حبيبي نام ... ذبحناكَ لكي يبكِ الحمام))
أصنعُ القهوة ..
منذ فترة لم أصنع قهوتي بيديّ
ربما بسبب تراكم النازحين لكن بعد أن سافر بعضهم خارج القطر أصبح بإمكاني ذلك ..

صراحةً لو لم يخلُ فيسبوكي من آخر أُنثى على قائمة التشات لديّ لما قمتُ لصنع القهوة
آآه من - فيسبوكي - قررتَ أن أغلقهُ لما أرى فيه من أخبار مروّعة فلم أستطع الصمود أكثر من عشر ساعات
عشر ساعات .. أنهيتُ خلالها كتاباً ومسرحيّة ماذا لو صمدتَ عشرَ أيّام على سبيل المثال أو لو أستغني عنه للأبد.. قد أصبح مَن أعتى جبابرة المثقفين الذين ما فتؤوا يتشاجرون على جدران الفيسبوك ...
أسألُ نفسي كيف أصبحوا مثقفين مع أنّ لديهم فيسبوكاً
- ((فيروز .... سلملي عليه))
عزيزتي إن ذهبتُ ولم أجده فماذا أفعل .. فلنفترض أنه توفّي .. إختاري أنتِ الطريقة التي تشتهين ((قذيفة - قنص - شظيّة - ذبح)) أو لربما مات (موتة ربّو)) منذ متى لم أسمع بشخص مات (موتة ربّة) وماذا يعني أن يموت هكذا على يدِ عزرائيل دون أي فعل تشويقي .. لم يترك لأخيه شرف أن يقتله عزرائيل بإمكانك أن ترتاح قليلاً .... فكلنا عزرائيل
أنا لا أزالُ أستمعُ إلى فيروز .. لكنني أخجلُ من ذلك - صدقاً -
ولا أشعرُ أنّ فيروز هي فيروز ..
لماذا تغيّرت يا فيروز؟؟! ..
مع أنّ المحطة ذاتها وترتيب الأغاني ذاته ..
أرشفُ قهوتي ..
أتذكرُ محمود درويش وارتباطه بالقهوة وريتا ..
آآآه لو كنتُه
ربما عندما تأتيني ريتتي أو ما يعادلها سأصيرُهو أو ما يعادله
أريدُ أي انفجار أو صوت رصاص حتى أنتقل إلى جو آخر من الكتابة .. يا رب مشط رصاص في الهواء .. لا أُريد لأحد أن يتأذى فقط أريدُ لعقلي أن يتحفّز قليلاً .. أليس هناك أي رجل أمن يريد أن يوقظ صديقه على نوبة حرسه
- عصفور يُزقزق -
أقسمُ ... عصفور يزقزق
السادسة وخمس وثلاثون دقيقة ... عصفور يُزقزق
.. حلب تُقصف
- أنا عندي حنين - .. أعرف لمن .. لكن أتجاهل ذلك

جسدُ المرأة يُستخدم كسِلاح

وردة مصطفى

لم يكن بالتأكيد الزفاف الذي تحلم به هدى التي لم تتجاوز ال١٣من عمرها.. ولا الحياة التي ربّما تمنّت أن تختارها بنفسها في يوم من الأيام، وهي اليوم تبدو بوجهها الطفولي ونظراتها الحائرة عاجزة عن تقديم أدنى متطلبات الرعاية لطفلها الذي وضعته بعد أقل من سنة على زواجها، حالها كحال عشرات الفتيات اللواتي فرض الصراعُ الدائرُ في سوريا ظروفاً قاسية على عائلاتهن، ليغدو الزواج -وإن كان مبكراً- الملاذ الممكن الوحيد.

يعيش اللاجئون السوريون أوضاعاً مأساوية على جميع المستويات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية بسبب تضخم أعداد اللاجئين والتراجع الملحوظ في حجم المساعدات الإنسانية المقدمة لهم...تكافح الكثير من النساء من أجل توفير الاحتياجات الأساسية، وبالكاد يستطعنَ دفع الأجرة الشهرية للشقق المكتظة، أو يقبعنَ في مبانٍ مهجورة أو مخيّمات مؤقتة. معظمهنّ لا يستطعنَ العمل بشكل قانوني وليس لهنّ مصدر دخل ثابت". ونتيجة لذلك، تلجأ بعض النساء إلى استراتيجيات بقاء محفوفة بالمخاطر مثل الزواج المبكر أو الزواج بالإجبار أو مبادلة الجنس بالطعام أو السَّكن.

استغلال النّساء السّوريات

تتعرّض النساء اللاجئات للاستغلال بشكل كبير جداً، وتتزاحم الأمثلة التي تشهد على ذلك، فهذا القاضي الذي تزوّج بنت يتيمة لمدة خمسة أيام، وتخلى عنها، وبالوقت ذاته يتزوج من العائلات الفقيرة، ويكتب الكتاب على ورقة كزواج أشبه بالعرفي دون حضور شهود ثم يتخلى عن النساء بعد أيام، وهذا "شيخ سعودي آخر تزوّج امرأة أرملة لديها ٤ أولاد". أما أبو خالد فقد تزوج من أرملة وهو الآن يشحذ على ابنها"، "وآخر تزوّج امرأة لديها ولدٌ وزوجها الآن يكتب على تويتر أن هناك ولداً يتيماً يحتاج إلى المال ليستغلّ التبرعات". هذا غيض من فيض يعكس شكلاً من أشكال الاستغلال الفادحة التي تعيشها النساء السوريات في ظل النزاع المسلح.

التحرش الجنسي "وصمة يواكبها تحرّش"

ترفع فاتن (٢٩ سنة) القادمة من حي الوعر في مدينة حمص منديلها الرث لتمسح دموعها التي تنهمر بلا انقطاع، مستعيدة في ذهنها صور أربعة عمّال حاولوا التحرش بها داخل حمام مختلط في مخيم الزعتري للاجئين. وإلى جوار خيمة متهالكة تحول لونها إلى بني داكن بفعل غبار الصحراء، تربعت فاتن على الأرض، ساعية إلى لملمة أوجاع وأحزان لا تفارقها كما تقول. وأخذت تتحدث بصوت تخنقه العبرات: «كم هو صعب أن نعامل على أننا سبايا...!».«أخشى على نفسي من البقاء هنا، فقد تعرّضتُ لكابوس». وتخيلت فاتن تلك اللحظات، عندما كانت تصرخ، وتتوسل سكان الخيام المجاورة، لتخليصها من عمال صيانة تجمّعوا لاغتصابها.

تتعرض اللاجئات السوريات بشكل خاص "للتحرش الجنسي" جراء ما يعانينه من محنة اللجوء التي يواكبها ضعف أوضاعهن الاقتصادية وهشاشتها، يترك هذا التحرش آثاره الكبيرة على المرأة، فقد ذكرت بعض اللاجئات السوريات أن هذا التحرُّش قد حمل أزواجهن على الإفراط في حمايتهن والحدّ من حرية حركتهن. وفي بعض الحالات، يظهر أن التوترات الأسرية الناجمة من هذه الضغوطات قد أدت إلى وقوع حالات من العنف الأسري.

وخير مثال على هذه المشكلة قصة السيدة فرح والدة الأطفال الثلاثة التي تبلغ من العمر٢٨ عاماً، تقول أنها قد آثرت في إحدى المناسبات تحمُّل العطش طوال يوم كامل إلى حين عودة زوجها من عمله، بدلاً من الاتصال بشركة تزويد مياه الشرب في الحي الذي يقيمون فيه، وذلك خوفاً من قيام عاملي إيصال قوارير مياه الشرب بالتحرُّش بها، مما سوف يثير غيرة زوجها وتثور ثائرته.

الزواج المبكر "عرائس سوريات متدنيات التكلفة"

"ليس لدينا بنات للزواج"؛ اعتادت خولة الردَّ بهذه الكلمات على الرجال العرب أو الأجانب الذين يطلبون منها يد ابنتها البالغة من العمر ١٤ عاماً عندما يأتون باحثين عن عروس، وكغيرها من اللاجئات السوريات، فلقد اشتكت خولة من قيام رجال أردنيين دون كلل أو ملل بالتقدم لخطبتها أو الطلب منها أن ترتب لتزويجهم بفتيات من اللاجئات". حال خولة كحال الكثير من النساء اللواتي يتعرضن لمواقف مشابهة وفي أغلب الأحيان أكثر قسوة وعنفاً من هذه.

الزواج المبكر ليس ظاهرة غريبة على المجتمع السوري، هو موجود ونسبته عالية وبخاصة أن مناطق النزوح هي المناطق التي كانت فيها نسبة الزواج المبكر مرتفعة، كالمنطقة الجنوبية والشمالية الشرقية في سوريا، ويصادف أن النزوح هو من أكثرية هذه المناطق، وببساطة فلقد قام اللاجئون باستيراد هذا التقليد ونقله معهم إلى المخيمات التي يعيشون فيها. وعلى الرغم من عدم وجود إحصائيات رسمية، فإن اليونيسيف رصدت زيادة في زواج القاصرات السوريات من رجال أردنيين وخليجيين، وبعض الفتيات اللاجئات يتم تزويجهن بعمر ١٢ أو ١٣ سنة.

هناك زواج مبكر ولكن لا تجبر الفتاة فقط، الأهل أيضاً يجبرون في حالات الفقر والاحتياج، يقدم الأب أو الأم بناتهم للزواج. أما "زواج الأقارب المبكر" أحياناً يكون هناك قرابة كبيرة بين العائلات وخاصة السورية واللبنانية، هنا زواج الأقارب أنفسهم سواء زواج سوريين لسوريين أو سوريين للبنانيين، وبنظر الفتيات فإن هذا الزواج يساعد عائلاتهم وإن كان بمبلغ ضئيل من المال.

أسواق الزواج

نُشرت العديد من التقارير الإخبارية التي ترصد واقع المرأة السورية وخاصة اللاجئات في ظل النزاع المسلح مسلطة الضوء على حالات الزواج المبكر وطبيعتها بين اللاجئات السوريات، وتحدثت بعض تلك التقارير عما يُسمى "بأسواق الزواج" للاجئين، أو"الخطابات" اللواتي يقمن بترتيب زيجات مؤقتة بين عرائس سوريات يافعات وخاطبيهُنّ من دول الخليج.

وبحسب دراسة تقييمية من إعداد منظمة الأمم المتحدة للمرأة تركز على انتشار الزيجات المبكرة بين اللاجئات السوريات في الأردن، ونشرت في تموز٢٠١٣، اتضح أن العادات الاجتماعية و"شرف" العائلة ما انفكا يشكلان الدافع الرئيس وراء تزويج السوريين لبناتهم وهن ما زلن في سن الطفولة، وهي عوامل يظهر أنها أكثر أهمية من عاملَيْ الحرمان الاقتصادي والفقر. هذا وإن غياب الخصوصية بشكل شبه كامل في المخيمات بالإضافة إلى انعدام الأمن قد لعبا دوراً هاماً في عدم إقلاع العائلات المقيمة في المخيمات عن هذه الممارسة. لكن بالطبع فإن سن العرائس اليافعة والنظرة الدونية إليهن كلاجئات مستضعفات يجعلانهن عرضة للاستغلال الجنسي وغيره من أشكال الإساءة ضمن إطار مثل تلك الزيجات التي قد يكون البعض منها عبارة عن زيجات مؤقتة.

آثار وتداعيات الزواج المبكر

إن هذا النوع من الزيجات قد يجعل الفتيات اليافعات غير القادرات على التعبير عن موافقتهن بحرية تامة، عرضة للإكراه وممارسة الضغط عليهن من البالغين، أو استغلالهن أو تعرضهن للإساءة، بالإضافة إلى خطر حدوث الحمل المبكر الذي يقود إلى وقوع مضاعفات صحية خطيرة وطويلة الأمد.

تواجه العرائس القاصرات مخاطر العنف وإساءة المعاملة والاستغلال، كما أن زواج الفتيات بسن الطفولة يؤدي في كثير من الأحيان إلى الانفصال عن الأهل والأصدقاء وسلبهن حرية المشاركة في النشاطات الاجتماعية، مما قد يكون له عواقب كبيرة على سلامة الفتيات النفسية والجسدية.

وتخالف الزيجات المبكرة القانون الدولي الذي يشترط إبرام عقد الزواج "برضا الطرفين الراغبين في الزواج وموافقتهما بكامل حريتهما ودون إكراه". كما أن هذا النوع من الزيجات قد يجعل الفتيات اليافعات غير القادرات على التعبير عن موافقتهن بحرية تامة عرضة للإكراه وممارسة الضغط عليهن من البالغين، أو استغلالهن أو تعرضهن للإساءة.

ومن جهة أخرى فإن معظم الزيجات التي تتم بين اللاجئين السوريين هي زيجاتٍ غير مسجلة رسمياً، وهذا من شأنه أن يؤثر سلباً على قدرة تسجيل المواليد الجدد والحصول على بعض الخدمات التي توفرها المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

شبه الزواج

عائشة البالغة ٢٢ عاماً من العمر طالبة الأدب الإنكليزي التي كانت تحاول البحث عن عمل، فكانت تجد الإجابة التالية بانتظارها: "ليس لدي عمل لك، ولكن يمكنني أن أتزوجك إن أحببتِ".

يستغل كثيرون من بعض الدول العربية حال اللاجئين البائس للضغط على أهل الفتيات السوريات لقاء دفع دولارات محددة لزواج متعة يدوم أياماً أو أقل.

ويعتبر زواج المسيار الذي يكون مؤقتاً في غالب الأحيان وسيلة لتفادي الثمن الباهظ للزواج وتجنب الوقوع في الزنا، وهو قانوني فقط في دول عربية قليلة، ويسمح للرجل والمرأة بأن تكون بينهما علاقة جنسية حتى وإن لم يعيشا في بيت واحد.

ويوافق بعض الآباء اللاجئين على زيجات مؤقتة من هذا النوع على أمل أن تؤدي في يوم ما إلى زواج طبيعي، غير أن النهايات لا تكون سعيدة في الواقع إذ إن الفتاة تذهب مع زوجها، وبعد بضعة أسابيع أو أشهر يمل الزوج من زوجته الصغيرة في السن ويعيدها إلى أهلها، ولا يمكن لأحد أن يفعل شيئاً حيال ذلك لأنه لم يتم تسجيل الزواج بشكل قانوني، لذا ليس للفتيات أو عائلاتهن سند قانوني. واللواتي يهجرهن أزواجهن بعد زواج المسيار يرجعنَ إلى أهلهنّ بثياب العار وقد يُجبرنَ على اللجوء إلى الدعارة من أجل العيش.

جريمة في حق الإنسانية

أثبتت الدراسات العلمية، أن زواج القاصرات قد يعرض الفتاة للإصابة بالعقم والإجهاض وتسمم الحمل وفقر الدم هذا بجانب احتمال تعرض الأطفال حديثي الولادة إلى الوفاة كما أكدت دراسة حديثة على ارتفاع عدد الوفيات ليسوا مكتملي النمو.

لذلك يعدُ الزواج في تلك السن المبكرة ضاراً جداً بصحّة الأم بل والطفل أيضاً، حيث تزداد احتمالات تعرُّض الأم للإجهاض أو الولادة المبكرة وبالتالي يولد الطفل مبتسراً أي غير كامل النمو، ومن ناحية أخرى فإن الفتاة في تلك السن غير مكتملة النمو لكي تربي طفلاً صغيراً أو حتى تستطيع أن تتحمّل الحمل والولادة لذا فأنسب وأفضل سن يمكن أن تحمل المرأة به هو من ٢٥ إلى ٣٠ وذلك يمكنها تحمّل أعباء الحمل والزواج

قراءة استراتيجية:
لماذا سورية بكل هذه الأهمية؟

محمد سيد رصاص

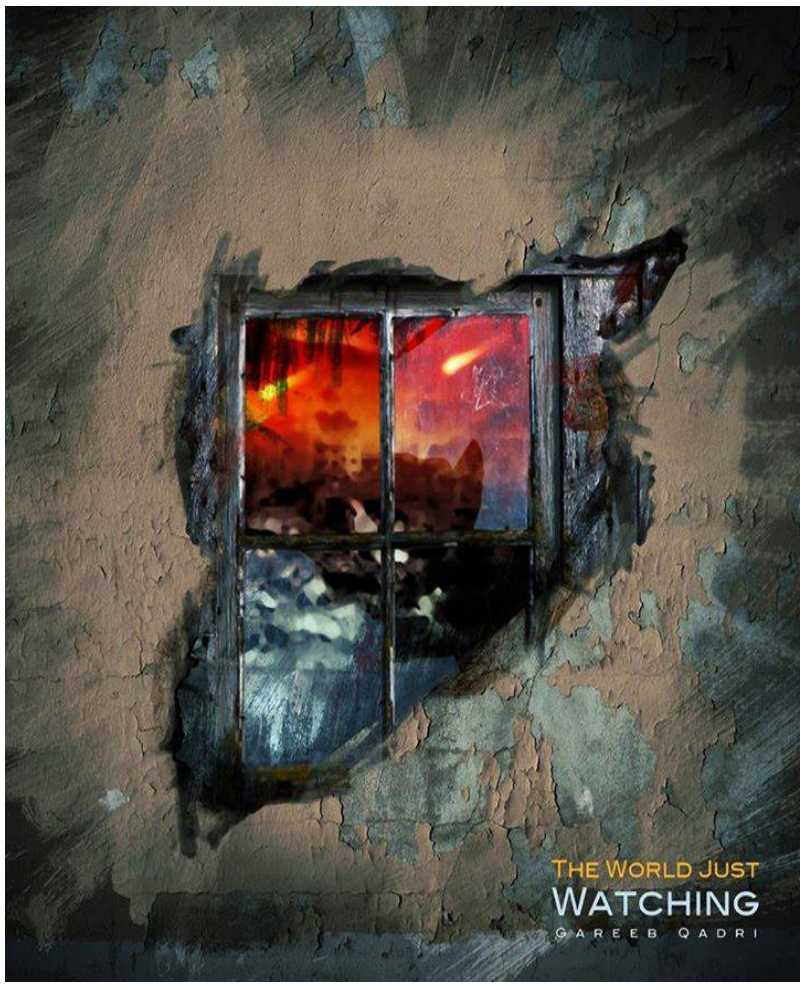

كانت سورية مفتاح المنطقة للغزاة والفاتحين، فعند سقوطها كانت المنطقة بأكملها تسقط بعدها بعدد من السنين لا يتجاوز أصابع اليدين، مثلما حصل مع الاسكندر المقدوني ثم المسلمين إثر معركة اليرموك، أو أكثر قليلاً بحد لا يتجاوز ثلث قرن (الرومان حين سقطت سورية بيدهم عام ٦٤ قبل الميلاد ثم مصر في ٣١ قبل الميلاد)، فيما كان الزمن أقل مع السلطان سليم الأول بعد معركة مرج دابق عام ١٥١٦ إذ سقطت مصر والحجاز في العام التالي ثم العراق عام ١٥٣٤، وفي عام ١٩١٨ كان تداعي الدولة العثمانية بعد سقوط دمشق في ١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨ بيد الحلفاء لا يتجاوز تسعة وعشرين يوماً حين وقعت صكوك الاستسلام في جزيرة مودروس، فيما هذا لم يحصل لدى انفلات بغداد والقدس من يديها عام ١٩١٧ ولا القاهرة في ١٨٨٢. وفي عام ١٩٥٥ لم يكن انحياز سورية الى عبدالناصر سبباً فقط في موت حلف بغداد وإنما أيضاً بعد الوحدة المصرية- السورية في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٥٨ كان طريقاً أدى إلى سقوط نوري السعيد في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ وعدنان مندريس في ٢٧ أيار (مايو) ١٩٦٠ بانقلابين في بغداد وأنقرة فقدا الحكم وحياتهما بعدهما، فيما لم تؤد الهيمنة الأميركية على القاهرة منذ ١٩٧٤، ثم سقوط بغداد بيد واشنطن في ٩ نيسان (ابريل) ٢٠٠٣، إلى استقرار المنطقة بيد الأميركي، ما دامت دمشق خارج هذا السياق.

في عام٢٠١١، كان نشوب الأزمة السورية منذ ١٨ آذار (مارس) في درعا سبباً في أزمة دولية هي الأولى منذ انتهاء الحرب الباردة عام ١٩٨٩، لم تستطع أن تقود إليها، لا حرب ١٩٩٩ للناتو في صربيا وكوسوفو «الحديقة الخلفية للروس» منذ أيام القياصرة ثم السوفيات ولا غزو الأميركيين للعراق عام ٢٠٠٣.

في ٤ تشرين الأول ٢٠١١ في قاعة مجلس الأمن في نيويورك أعلن الفيتو الروسي- الصيني المزدوج بداية مجابهة حلف موسكو- بكين، مدعوماً بدول مجموعة البريكس (الهند – البرازيل - جنوب أفريقيا)، مع حلف الناتو الذي يضم دول ضفتي الأطلسي بزعامة الولايات المتحدة وصولاً إلى جناحه الجنوبي الشرقي ممثلاً في تركيا، والذي كان في قمته في نيسان ١٩٩٠، غداة انتصاره على حلف وارسو، قد وسع نطاق عملياته أبعد من القارة الأوروبية، وهو ما رأيناه في أفغانستان ٢٠٠١ مثلاً من خلال قوات «ايساف».

خلال عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣ ترادف الصراع الدولي (على سورية) و (في سورية) بين معسكري العالم هذا، وهو تطور استقطابي على ما يبدو قد كسر القطبية الأحادية العالمية لواشنطن البادئة في عام ١٩٨٩، مع مجابهة إقليمية بين تركيا والخليج، بدعم من التحالف الغربي بزعامة واشنطن، وبين إيران، المتلاقية في الصراع (على سورية) و (في سورية) مع محور موسكو- بكين، والمدعومة بحكومة نوري المالكي في بغداد و «حزب الله» المسيطر على مقدرات الأمور في بلاد الأرز، مع حيادية مترددة للقاهرة.

هنا، كانت دمشق منصة لإعلان صراع دولي- إقليمي بين معسكرين من طابقين دولي وإقليمي، مع امتدادات سورية محلية لكل منهما. لم تكن بغداد هكذا في عام ٢٠٠٣ على رغم الاعتراض الروسي- الفرنسي- الألماني على غزو العراق واحتلاله، ولم تتشجع موسكو على تحويل أرض الرافدين إلى ميدان للصراع مع واشنطن على رغم انفكاك التحالف الأميركي – الإيراني في آب (أغسطس) ٢٠٠٥ مع استئناف طهران برنامجها في تخصيب اليورانيوم وهو التحالف الذي ظلل غزو العراق واحتلاله ثم صياغة «العراق الجديد» عبر «مجلس الحكم» الذي أنشأه بول بريمر في ١٣ تموز ٢٠٠٣ وكان في تركيبته صورة مصغرة عن تقاسم النفوذ بين واشنطن وطهران. يبدو أن الضعف الأميركي منذ الأزمة المالية- الاقتصادية في أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٨، ثم فشل الأميركيين في احتواء التمدد الإيراني في أعوام ٢٠٠٧ -٢٠١١، قد شجع الروس والصينيين على محاولة كسر القطب الواحد الأميركي للعالم من خلال مجابهة واشنطن في الأرض السورية منذ ذلك الفيتو في ٤ تشرين الأول ٢٠١١ ثم المتكرر في ٤ شباط ٢٠١٢ و١٩ تموز ٢٠١٢، قبل أن تقبل واشنطن بالأمر الواقع الدولي- الإقليمي المستجد وتقر في اتفاقية موسكو في ٧ أيار ٢٠١٣ بمفتاحية موسكو في حل الأزمة السورية.

دلالات متعددة

هذه المنصة الدمشقية ليست فقط صراعاً في سورية لقوى دولية وإقليمية وإنما هي كذلك وفي الوقت نفسه صراع على سورية: كان (الصراع في سورية) من أجل تثبيت كتفي واشنطن لكسر القطبية الأحادية الأميركية للعالم، وهو ما تم إعلانه من خلال اتفاقية موسكو التي هي ورقة نعي للقطبية الأحادية وورقة ولادة لعالم متعدد الأقطاب. وليس من دون دلالة أن يعلن ذلك بعد لقاء لوزير الخارجية الأميركي مع فلاديمير بوتين في الكرملين. أيضاً، فإن هذا (الصراع في سورية) هو بالنسبة الى طهران ميدان لإثبات وتكريس ما حققته من نفوذ وامتداد إقليمي بين كابول والشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط انطلاقاً من البوابة البغدادية في أعوام ٢٠٠٧- ٢٠١١. من جهة ثانية، يبدو أن (الصراع على سورية) هو بسبب كونها مفتاحاً للمنطقة، بالنسبة الى الروس كامتداد إلى البحر المتوسط، وبالنسبة الى الإيرانيين بوصفها أيضاً سيطرتهم على بغداد وهيمنتهم على الحكومة هناك.

هذا الأمر بالنسبة الى الروس والإيرانيين لا يقتصر على الميدان الجغرا - سياسي، وإنما له شق اقتصادي من خلال اهتمام روسي باكتشافات الغاز في الشاطئ الشرقي للمتوسط والتي وصلت عند شركة غاز بروم للتوقيع على عقود للشراكة في استثمار حقول الغاز الإسرائيلية، ويبدو أن هناك مؤشرات على اهتمامات لدى موسكو تجاه الحقول السورية واللبنانية عند الشاطئ الممتد من الإسكندرون إلى غزة.

عند طهران نيات معلنة عن مشروع لمد خط لأنبوب غاز إيراني يمتد للساحل السوري عبر الأراضي العراقية، فيما هناك اهتمام تقليدي في بلاد الرافدين باعتبار الساحل السوري مرفأ للعراقيين ومصباً لأنابيب نفط العراق انطلاقاً من شعور كان يعبّر عنه نوري السعيد وصدام حسين بأن العراق «يشبه الزجاجة ذات الفتحة الضيقة»، وهو ما دفع الأول إلى طرح مشروع الهلال الخصيب، واهتمام الثاني الكثيف بسورية الذي تجسد في انخراط عملي في أحداث ١٩٧٩-١٩٨٢ إلى حدود طرحه آنذاك مشروع «حكومة سورية موقتة»، يكون مقرها بغداد، على المعارضين في «التجمع الوطني الديموقراطي» أثناء تفكيرهم بـ «جبهة عريضة» مع (الإخوان) و(بعث العراق)، كما أن هذا البحث عن نافذة بحرية عراقية هو السبب الذي دفع صدام الى شن الحرب على إيران في ١٩٨٠ ثم غزوه للكويت عام ١٩٩٠.

هذا الانخراط الكثيف للروس والإيرانيين في الصراع السوري له أيضاً أوجه دفاعية وقائية على الصعيد الاقتصادي: مع تهديد إيران المستمر بإغلاق مضيق هرمز، ومع اضطرابات اليمن والصومال والقرصنة البحرية، ومع عدم قدرة قناة السويس على أن تعبرها ناقلات نفط وغاز عملاقة، هناك مؤشرات على أن هناك تفكيراً عند دول الخليج الخمس (عدا عُمان، بالطبع) نحو جعل الساحل السوري مصباً لأنابيب النفط والغاز الخليجيين، وفي جعله مرفأ لبضائع الخليج في الاستيراد والتصدير، ويبدو أن التكلفة الاقتصادية أقل من الطرق البحرية إذا استعملت القطارات والشاحنات وهي كذلك أسرع.

يريد الروس والإيرانيون منع حصول ذلك من خلال تثبيت كلمتهم في سورية عبر الصراع المستعر الآن في وعلى الأرض السورية.

وعند موسكو هاجس كبير بأن استغناء أوروبا عن الغاز الروسي، الذي يزودها الآن بثلث احتياجاتها، واستبداله بغاز خليجي يصل بسرعة وبتكلفة أقل عبر الساحل السوري، أو عبر أنابيب تصل من الخليج عبر الأردن وسورية وتركيا الى الأراضي الأوروبية، سيجعل روسيا في موقع الضعيف أمام الغرب ويجعلها غير قادرة على التحكم بعصب الاقتصاد الأوروبي، الذي يتهيأ منذ الآن ويخطط لاتجاهات نحو الاستغناء أو التقليل من واردات الغاز الروسية.

من المرجح أن الأتراك يريدون جعل أراضيهم ملتقى أنابيب الغاز والنفط الخليجية، إضافة الى أنابيب غاز ونفط القوقاز وآسيا الوسطى السوفياتية السابقة، لتكون تركيا ممراً لها نحو القارة الأوروبية، وهذا على الأرجح سبب انخراطهم الكثيف في الصراع السوري، إضافة إلى حلمهم بجعل دمشق و «شام شريف» مفتاحاً للمنطقة يشبه مرج دابق عام ١٥١٦ لتكون اسطنبول من جديد زعامة العالم الإسلامي السنّي، وهو ما يقلق، الى حدّ ما، الرياض والقاهرة، ويثير بالتأكيد القشعريرة في طهران.